مهام رؤوساء أقسام اللغة العربية في الجامعات
ومتطلبات الإطار العام للعربية الفصحى

المقدمة :

اللهم يسر وأعن

تلقينا الدعوة للمشاركة بهذا المؤتمر, واللغة العربية أحوج ما تكون إلى مثله, فالمجلس الدولي للغة العربية, يسدي إلى العربية جميلا, لأن اللغة هي مكمن القلب والروح للأمة . وقيمتها مثل قيمة الأرض والحدود عنوان الأمة وهويتها . فهو سعي مخلص, ودعوى للحسنى للارتقاء باللغة إلى مسؤوليتها . في الوقت الذي أخفقت فيه أقسام اللغة العربية في الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها . والمسؤولية تاريخية أمام كل من له صلة باللغة العربية, ولعل هذا اللقاء يمثل اليد البيضاء لتعيد للغة اعتبارها المضّيع . ولا ازعم أني جئت بحلول فريدة ولكنها مشاركة لنيل شرف المساهمة, لأن الموضوع في حاجة إلى كثير أو قليل من الغيرة والشهامة والثقة والإيمان والإخلاص والتضحية .

لقد عقد المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية قبل أكثر من نصف قرن في دمشق وتحديدا عام 1956 برعاية اليونسكو . وشارك فيه مندوبون من مختلف الأقطار العربية . وقد وجد في بحوث أكثرهم الدعوة إلى العامية, وهذه الآراء لأساتذة كبار على مستوى رفيع من الشهرة . إلا أن المؤتمر رفض الأخذ بشيء من هذه الآراء . واللغة العربية أمانة في أعناقنا لا نفرط فيها . لغة الكتاب المنّزل, معجزة باقية على وجه الدهر .

في هذه الدراسة وجهة نظر لتتحمل أقسام اللغة العربية مسؤوليتها التاريخية استعرضنا الواقع والأفاق المستقبلية, والمؤسسات التعليمية في المراحل الدراسية, وتعريب العلوم, والتصدي للعامية, ومقارنة العربية باللاتينية, واللغة الفصحى والمستوى المطلوب وقواعد اللغة العربية والإعلام وعالمية اللغة العربية, وخلصنا إلى المقترحات وخاتمة . وهذا جهدي هو جهد المقل, وأبرأ إلى الله من حولي وقوتي . والحمد لله و به نستعين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

مهام رؤوساء أقسام اللغة العربية والأفاق المستقبلية

توطئة : إن التدريس الجامعي, هو نقل التراث وتنقيته, لخدمة المجتمع ومعالجة مشكلاته, وإشباع الفضول العلمي للأفراد . لكن هذا لا يكفي ((بل ينبغي التحرك بالمجتمع بكامل مؤسساته نحو الأمام بالاستعانة بفلسفة واضحة, والهام روحي, وتطبيق الأسس العلمية لإثراء الحياة, وان حصر أهداف التعليم العالي في الجدوى الاقتصادية أو تدعيم الأنظمة السياسية, أو خدمة النزعات وتوجيهها نحو هذا الجانب أو ذاك, سيخل بالصورة المرتجاة لهذا التعليم))(1)

الواقع : إن ((أسباب شيوع الأخطاء اللغوية والنحوية في لغتنا العربية كثيرة .. ولعل أهمها هو ضعف إعداد المدرسين فيها بالكليات المختصة .. مما خلّف هذه النتائج غير المحمودة))(2) وهذا رأي العلامة مصطفى جواد رحمه الله . وعالم جليل أخر هو المرحوم علي جواد الطاهر يقول :((ومسالة اللغة العربية في الجامعة لا يقال أنها مضحكة أو مبكية, ويكفي ما تحتل منها ألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل .. وإذا خرّجت الجامعة طالبا ضعيفا, ستخرج تلاميذ ضعفاء, .. ويبدأ الضعف في الجامعة ويعود إليها ما هو أشد وهكذا ..))(3) ويتساءل الأستاذ الدكتور حاتم الضامن في جامعة بغداد ويقول :((الكلام في قسم اللغة العربية بالذات – باللغة العامية, فكيف تسود الفصحى إذا كان أصحاب التخصص بها قد اعرضوا عنها ؟))(4) ويذكر الأستاذ خالد مفلح عيسى متألما – من ليبيا – : ((وكم تشكو جامعاتنا العربية من ضعف طلبتها في اللغة ؟))(5) ومن الشام يعلق الأستاذ كامل جميل : ((كان يغلب على ظني بسبب طول عملي في التدريس وما تعلق به, إن العربية الفصحى تكاد تكون قصرا على فصول التدريس ... حتى هذه ليست خالصة للغة, إذ ما أكثر ما تشوبها الشوائب, فيتكلم المدرسون من مختلف الفئات والمستويات باللغة العامية, يخرجون على الفصحى التي جاءوا لخدمتها وسلامتها, إلى العامية التي لا تحتاج أية خدمة, يجارون في ذلك كثيرا من تلاميذهم أو تفعل العامية فيهم فعلها))(6) ((ومما يؤسف له أن مدرسي العربية, يتحدثون مع طلبتهم باللهجة الدارجة, وليس بالفصحى التي يقومون بتدريسها, في حين نلاحظ الدارسين من غير العرب ينطقون ويتحدثون باللغة الفصحى في كل شؤونهم .

تلك هي الحقيقة التي لا نستطيع أن نفّر منها, بل يجب أن نواجهها في شجاعة, وأن نفكر كيف نقرّب بين هذه اللهجات حيث ينطق أهلوها جميعا لغة واحدة هي اللغة الفصيحة لغة القران الكريم بلا لحن أو لكنة)) (7)

ومن مصر يقول الدكتور محمد محمد حسين رئيس قسم اللغة العربية (سابقا) بجامعة الإسكندرية في كتابه حصوننا مهددة من داخلها, الصادر عام 1967 : ((كثرة كبيرة من الذين يتولون تدريس اللغة العربية في مراحل التعليم الإعدادي والثانوي في مصر وفي البلاد العربية من المتخرجين في أقسام اللغة العربية, وهناك إجماع من المعنيين بشأن اللغة العربية من أساتذة الجامعة, ومفتشي الوزارة على ضعف هؤلاء المدرسين . والمقصود بهذا الضعف هو النقص في قدرتهم على إقامة الإعراب في النصوص العربية حين يقرأونها والعجز عن التعبير بلغة عربية سليمة يقوم فيها الإعراب والنظم (الأسلوب) والقياس اللغوي على نحو عربي سليم))(8) فأقسام اللغة العربية تنتظرها جهود مستقبلية نوضحها في إطار عام كما سيأتي :

أقسام اللغة العربية والمؤسسات التعليمية الأخرى :

إن مجتمع المعرفة يتحدى جامعات الدول العربية . فان ملاحظة عابرة على أفضل جامعات العالم, لا نجد من بينها من الجامعات العربية وهذا مما يؤسف له لأن هذه الجامعات سهلة التحدي . فان مجتمع المعرفة متقدم, والجامعات العربية في حالة من التأخر إذا ما قيست بجامعات عالمية مرموقة . لذلك فان الأمر يتطلب توفير متطلبات تكنولوجيا التعليم, ونظم تعليم معاصرة تستعمل التقنيات الجديدة بأيد مدربة والإسهام في البحوث والنشر . وبحسب تقرير التنمية الإنسانية لسنة 2003, يبلغ مؤشر المنشورات العلمية والذي يقاس بعدد البحوث المنشورة في دوريات عالمية محكمة لكل مليون فرد في سنة 1995 على سبيل المثال إلى أن : (26) في مجمل البلاد العربية,و(840) في فرنسا, و(1252) في هولندا, و(1878) في سويسرا . (9)

والتعليم الجامعي يمثل نتائج المؤسسات التعليمية المتقدمة . وبداية من ((التعليم السابق على المرحلة الابتدائية ما يزال ضامرا في معظم البلدان العربية, ونسبة المسجلين لا تتعدى 2.3 % .. والتعليم الابتدائي ما يزال يقتصر في جملة البلاد العربية على نصف من هم في سن هذا التعليم ... والتعليم الثانوي ما زال يقتصر على اقل من 20% ... أما التعليم العالي فما يزال مقصورا على قلة ... ودراساته الأدبية و الإنسانية تطغى على دراساته العلمية والعملية والتطبيقية .. وإذا قسمنا جهود التربية في البلاد العربية في هذا الميدان بالقياس الحديث الذي يحمل شعار (التربية الدائمة) وجدنا البون شاسعا والهدف بعيدا جدا)) (10)

يقابل ذلك هجرة العقول العربية, وما يترتب عليها من خسائر الدول العربية . ((وقد وصلت خسائر الدول العربية من جراء هجرة الكفاءات العربية إلى حوالي 200 مليار دولار سنويا, وفق تقرير منظمة العمل

العربي لعام 2006)) (11) ومن جملة هؤلاء العلماء في تخصص اللغة العربية . وانه من المؤسف حقا أن يحصل ذلك, ولاسيما أن الأوضاع تشير إلى زيادة ذلك .

لذلك فان مهمة أقسام اللغة العربية في الجامعات هي إقامة الجسور بين المؤسسات التعليمية في جميع المراحل, لتعتمد الفصحى لغة للتعليم والتدريس, والأمنية الكبرى أن تكون مناهج كتب العربية موحدة في جميع الأقطار العربية وأن تحرص على تنشئة الطلبة على سلامة اللفظ والكتابة والإملاء والتعبير . وأن تكون التوجيهات ملزمة بما يجعل العربية وافية بأهدافها و أغراضها في المجالات كافة . وتنشئة الجيل على القبول بالعربية الفصحى والاعتزاز بها من غير خجل أو سخرية, مع معلّم فعّال وبمقدرة لغوية, يرافقه المنهج الذي يقوي الملكة التعبيرية .

ومعالجة الوضع القائم في البدء مع الطلبة على مزاولة الفصحى والإحساس بكفايتها وإدراك لإسرارها, وقناعة بعبقريتها, وتذوق لجمالها, ومحاولة للإبداع فيها . (12)
ومما يقع على عاتق أقسام العربية هو في جانب الدراسات المتخصصة, وجانب إعداد مدرسي العربية.

والمهمة ليست في أعناق أساتذة العربية فحسب, وإنما للاختصاصات جميعا . لأن التفكير العلمي ومستلزماته لا ينفك عن اللغة بأية حال . ولأن ((اللغة تساعد على تثبيت الأفكار والمعاني التي تجول في الخواطر, وتلازم كل خطوة من خطوات التفكير, فضلا عن أنها تعبر عن النتائج التي ينتهي إليها البحث والتأمل, وتساعد على نقل تلك النتائج إلى سائر الباحثين والمفكرين)) (13) .

وأي تحرك أو مبادرة لأقسام اللغة العربية, يتطلب الشمولية للمراحل الدراسية, بدء من رياض الأطفال, وأن تكون هناك الجهات المنسقة لذلك, وإعادة النظر بطرق تعليم القراءة للمبتدئين .

- تعاون جميع المعلمين والمدرسين والإدارة مع معلمي ومدرسي العربية . (14)
- تأليف كتب في قواعد اللغة العربية مثل الكتب التي ظلت المدارس المصرية تتداولها سنين طويلة, فقد نجحت هذه اللجنة في حصر قواعد النحو والصرف والبلاغة في كتيّب صغير لا يتجاوز مائة وأربعين صفحة, خال من التعقيد, يفي بحاجة التلاميذ والمتعلمين . وقد كان صنيع الجارم من بعد ذلك حسنا يسّر هذه القواعد ومهّد لها بالأمثلة الكثيرة . وأعان على إقرارها بالتمرينات المتعددة, وكان ذلك كله في حدود القواعد التي أثبتت ألف سنة صلاحيتها . والتي استطاع العرب بفضلها وحدها – ولاشيء سواها – أن يخرجوا في القرن الأخير هذا الجيش الضخم من الشعراء والأدباء والنقاد الذين بلغ بعضهم مستوى أندادهم الأقدمين في أزهى عصور الشعر والأدب العربي . (15)

لقد كرم الله هذه اللغة بالبقاء حيث جعلها لغة القران الكريم محفوظة إن شاء الله لكن الرقي فيها من واجباتنا . وفيما اتضح لنا, مع المجهودات المبذولة بقي المتعلم يعاني الضعف اللغوي . فتكون البداية مع المعلم أن يجعل هذه اللغة المنشودة محبوبة إلى النفس ولا يخجل من الكلام بالفصيح حتى إذا تعثر أو اعتراه الخجل بسبب عدم السيطرة عليها أمام تلاميذه الصغار, ومع تقادم الزمن ينال مراده . ولا سيما عندما يتابع في الكتب والمصادر المسائل النحوية واللغوية . إن هؤلاء الصغار يعرفون الفصحى ويفهمونها فلا داعي للهجة العامية أو تغير لحن الصوت بهدف النزول إلى مستواهم, إن النزول إلى مستواهم بالعطف والحب والحنان . إن هذه العملية مترابطة مع الإدارة والمعلمين الآخرين والمشرفين التربويين, لابد من المؤازرة, من الجميع ويتذوقون ويستعذبون ويستمتعون بسحر البيان, فإذا حصل ذلك في مؤسساتنا التعليمية ازددنا قربا من الله ومن ثم نسهم في استقامة الأمور في جوانب الحياة كلها . وهذا يفتح المجال واسعا للتقارب الذهني بين أعضاء الأسرة التعليمية علما بأن توفر القناعة عند المعلم شرط أساس لا يمكن الحيد عنه لأجل التطوير والتغيير . (16)

واللغة قادرة على أن ترفع أذواق الأمة جميعا . وهي مرهفة تمكننا أن نحمي ألسنتنا وأسماعنا أن نقول أو نسمع ما يخدش الحياء, فلا نعلم لغة عنيت بهذه الأبعاد كالعربية, لذلك لابد أن تعمل أقسام اللغة العربية على استقبال الطلبة وأن توفر لهم الأجواء التي تعمل على خلق الحرص والشغف والحب بالعربية, أن يكون قبول الطلبة من محبي العربية, كما يقبل طلبة الفنون لهواياتهم ورغباتهم, لا نريد أن يتخرجوا ويكونوا أصحاب وظائف يريدون أن يؤدوا العبء الوظيفي الذي عليهم وهذا الانموذج لن يتحول في يوم من الأيام إلى صاحب رسالة . وهنالك من يتعايش مع القدر, ويسلم القيادة للغة العربية ويطاوعها ويتذوق أساليبها فيكون الانموذج الرائد .

ونتيجة لما تقدم بدأت تظهر الحالات المتأخرة وبدأت تظهر لها انعكاسات سلبية خطيرة كما نعاني الآن بالشعور الجماعي إن القواعد العربية صعبة, وهي صعوبة متوهمة نتيجة لهذه الظروف, وربما أدى هذا الوضع إلى كره اللغة العربية, ويمكن القول إن الضعف اللغوي الذي أشار إليه مجموعة من أساتذة الجامعة كما ذكرنا فيما تقدم, يعود إلى ضعف التلاميذ في المدرسة الابتدائية .

وان من مهمة أقسام اللغة العربية أن تمد الجسور بين هذه المراحل المختلفة بالتنسيق مع الجهات المعنية لإنشاء جيل عربي محب للعلم والمعرفة ومحبة اللغة العربية وتنمية روح النقد الأدبي وتذوق الجمال .

ليس هناك من يخولني أن أحمّل أقسام اللغة العربية مهام هي ليس من اختصاصها, ولكن اجتهادي أنها اقرب جهة للمسؤولية التاريخية إذ يتواجد الأساتذة الكبار, لكي يعلو صوتهم على وسائل الاتصال وتأليف

المناهج الدراسية والمحافل والقنوات الفضائية والمنتديات العامة من اجل السيطرة على خطاب هذه القنوات والمحافل, وان نجعل للفصحى مكانها, ومن هو اقدر على ذلك غير أقسام اللغة العربية ؟ إذا لقيت المساندة من الوزارة والحكومة, لأن زحف العامية يتدفق كالشلال على وسائل الإعلام ويزيح من الفصحى ويتغلب عليها في بعض الأحيان . إذا لم نقل إن هذه الأقسام نفسها تتراجع بين الأقسام العلمية الأخرى . إن للأساتذة في أقسام العربية موقعا رياديا في صياغة الهوية العربية, وهذا يشمل إعادة التشكيل لنهضة عربية مرتقبة, إنها مسؤولية ولا نجد ما يسوغ للانهزامية من تحمل أعباء هذه المسؤولية, وان علاج الأمر ليس بعيد المنال, ولا ضربا من الخيال, وإنما من السهولة بمكان مع صدق النية, وصحة العزيمة .

تعريب العلوم :

((ليس هناك دولة في العالم لم تتخذ من لغتها القومية لغة للتعليم الجامعي)) (17)

وإذا لم تتصد الفصحى لهذا الشلال المتدفق من التعبيرات الجديدة, في مسميات المخترعات والاكتشافات, وتستوعبها وإلا انتشر الكلام الدخيل, ويؤثر على مقومات اللغة العربية مع تقادم الزمن وكثرة التسميات الجديدة, ولا سيما أن المصطلح يبدأ عادة بالتداول قبل التعريب .

والعربية ثرية, وتكتسب بالاستعمالات المجازية الاستعمالات العصرية, لكن الأمر يتعلق بالأساليب فضلا عن الألفاظ, لأن الألفاظ لا نعدها مشكلة, بينما الأسلوب لابد أن يوافق طريقة التفكير لأن اللغة هي تعبير عن الفكر, ومن الأساليب ما يأتي عن طريق الترجمة ربما يتعارض مع الأسلوب العربي .

لذلك كانت الدعوات مستمرة وعلى مستوى رفيع, في المناداة لهذا الأمر, فكان قرار المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العالي العرب المنعقد في المغرب عام 1970, يطالب بأن تبادر جميع الدول العربية في أسرع وقت ممكن إلى اتخاذ التدابير والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة تدريس في جميع مراحل التعليم العام والمهني والجامعي . وقرار المؤتمر الثالث لوزراء الصحة العرب – القاهرة عام 1974 يتضمن استعمال اللغة العربية في التعليم الطبي وتتابعت القرارات : عام 1983 في الجزائر لوزراء الثقافة العربية . وفي عام 1983 في تونس لوزراء التعليم العالي . وفي عام 1985 المجلس الأعلى لمجلس التعاون, لدول الخليج . ومؤتمرات أخرى على مستوى الوزراء في الأعوام 1987, 1988, 1989 . إضافة إلى المؤتمرات والندوات الدورية . ولقد تم تحديد ((سنة 2000 سنة التعليم باللغة العربية في جميع الجامعات والمعاهد, ومنذ ربع قرن وها نحن عبرنا سنة الهدف وما زالت ...!))(18) .

لذلك تتجه الأنظار إلى الجامعات لكي تأخذ دورها, ومن خلال أقسام اللغة العربية, بالتقرب من صنّاع القرار لكي تلتزم الجهات الرسمية, وغير الرسمية باعتماد المترجم إلى العربية الفصحى والاهتمام بها وتكون هاجسا لكل مسؤول, ولكل طالب علم عند الدراسة والمخاطبة والإعلان, ينتقي الفصيح ويستعين بالمختصين, ودعوة المعنيين بأمر اللغة في كل مكان من الأقطار العربية, ونأمل لهذا المؤتمر الموفقية للتوجيه على اتفاق

لأساليب تحفظ اللغة العربية من الانحراف وتغّلب الدخيل, حتى تكون المؤتمرات ذات جدوى على مستوى شامل . وتسهم أقسام اللغة العربية بإشاعة اللغة الصحيحة النقية التي تجافي اللحن لذلك تشتد الحاجة إلى قاسم مشترك لمجاميع اللغة العربية في البلدان العربية . فيما تشتد الحاجة أكثر إلى الترجمة الدقيقة لظهور طبقة من المترجمين ((استهانوا باللغة العربية وأهلها, فلم يتقنوها وبثوا في العالم العربي ترجمتهم الفاسدة لعلوم الغرب وفنونه وآدابه وسياسته)) (19)

لاشك في إن الميزة التي ينبغي أن تراعى في اختيار الكتب المترجمة هي مصلحة العرب . وذلك باستكمال ما ينقصهم, وتدارك ما فاتهم مما سبق إليه غيرهم, فكان سبقه فيه سبب تفوقه وسيادته .(20) لأن الترجمة التي تسودها الفوضى والاختيارات العشوائية ولا سيما ترجمة القصص والآداب المختلفة تسهم في إفساد أذواق الشباب ويشعرون بأنهم غرباء في بلدهم .

التصدي إلى العامية :

يمثل المؤتمر دعوة للتصدي لدعاة العامية, وأعداء العروبة و الإسلام . ولقد صمدت الفصحى ((بوجه كثير من المحاولات المشبوهة التي أراد أهلوها بها أن يجردوا العربية من معادنها الأصلية, ويلبسوها أردية ليست على مقاسها, لكن لغة الضاد وقفت بوجه هاتيك المحاولات, وانتصرت عليها شامخة, لأنها تحمل كنوز التراث المضيئة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا . والعربية لغة جسيمة عظيمة قويمة لأمة كريمة عظيمة, وقد حافظت على قوامها ونظامها وكلامها بقرآنها العزيز, وتراثها الأدبي البارع, طوال العصور التي انصرمت بين زمن الجاهلية وهذا العصر, وهي لا تزال قوية الكيان علّية . ولقد أصابها من الشوائب, مالم يكن لها منه منتدح من ضرورات شعرية أو سمعية, وأوهام للخواص والعوام ... تداركها الأدباء القدامى بالتأليف والتنبيه والتصنيف ... وبيان الأوهام وإصلاحها, وكشف عن اللحن... إلا أن عصرنا هذا قد باين جميع العصور المنصرمة بالظلم الذي أصابها فيه)) (21)
ولا مناص من الاعتراف بأن أية أمة من الأمم لا تحترم لغتها, وتعمل على حمايتها لا تستطيع حماية نفسها من الضياع وسط تيارات الحياة الجارفة نحو المجهول . واللغة العربية مباركة من عند الله, فلا عوج في لغة العرب الخالدين, ولا نكوص عنها لغيرها, لأنها عنوان وجودنا وهي أمانة في أعناقنا نعمل على حفظها ودفع الشر عنها))(22) . وما زال لهذه اللغة دعاة وأنصار ورجال غيورون لإيجاد اللغة الفصحى الميسرة وهذه أمانة . وأمانة اللغة نعم الأمانة .

والدعوات التي ظهرت لاعتماد العامية في القراءة والكتابة والدعوات التي نادت بإقليمية الأدب, أو الكتابة بالحروف اللاتينية, كلها باءت بالفشل واندحرت فلا داعي للإسهاب في الكلام عنها, ولهم من الله ما يستحقون . لأن العرب شعروا بأن اللغة هي وسيلتهم الأولى للتواصل الفكري والشعوري والقومي . لأن

الاستعمار يريد إحلال لغته محل العربية فان لم يستطع شجع العامية, واتخذها سلاحا ضد الفصحى . ومن ثم ((تكريس واقع هذه الأمة المجزأ المتخلف الضعيف فيسهل بذلك استمرار الاحتلال)) (23)

لذلك فأن استمرار الحديث عن مشكلة العامية يعد دليل معافاة لأن الفصحى لا يعرفها إلا المثقفون من أساتذة العربية, أما التخاطب فيها فانه يندر حتى بين علماء اللغة أنفسهم, إذ نجد العامية تجد طريقها على ألسنتهم في توضيح أو استعانة . أما العامية التي تختلف من قطر إلى قطر, ومن مدينة إلى مدينة, ومن حي إلى حي, ومن بيت إلى بيت, فهي اللغة الغالبة بدء من الشارع .... ((وإذا صح لأمة أن تتخلى عن الحياة فيمكن حينئذ أنه بوسعها التخلي عن لغتها .. وان العزم والتصميم من سمات ما ترمي إليه الأمة في الحفاظ على شخصيتها من خلال مقوماتها .. ومن هذه المقومات اللغة (24) . ويؤكد لنا تأريخ الأمم واللغات أن اللغة القومية ذات الأصول الحضارية الراسخة لا يمكن أن تنحدر بسهولة بل تستطيع أن تحتفظ بمقوماتها . (25)

إن غلبة العامية على الفصحى يعد أثرا للتخلف, وعاملا للفرقة وتمزيق الأمة, وتكون معوقا للتعليم, لذلك لا يكتفي بالتصدي لها عاطفيا وإعلاميا . وإنما بمقدور الدارس الجاد الصابر, ذي الهدف الواضح التقريب بين هذه اللهجات .. هذه اللهجات ليست دخيلة كلها .. اللفظة المستعملة في اللهجة العراقية, أو اللهجة المصرية, أو في اللهجة المغربية, وهي ذات أصل عربي, ينبغي ألا ننفر من العامية, حتى لا ننفر الناس من الفصيحة .. ونشجع تطور اللهجات المحلية وتقويمها إلى اللهجات الوسطى التي يتفاهم بها العرب فعلا (26).

ثم اخذ يتكون في بيئات المثقفين في جميع الأقطار العربية نوع من (لغة التخاطب) اقتبست الشيء الكثير من خصائص الفصحى وتباعدت عن الكثير من أساليب العامية . فيحسن التوسع في درس هذه التطورات وتدوينها لنستفيد منها, ونستنير بها في تقرير خططنا الإصلاحية . (27) وان تشدد اللغويين في رقابتهم كان ضروريا لكبح التهاون بالفصحى, أو الخروج عن سننها, وقد كان هؤلاء اللغويون يمثلون التيار المحافظ الذي لم يكن منه بد, لكي يحموا أصالة اللغة العربية ويحافظوا على سلامتها . (28) وإذ يعمل أعداء اللغة العربية على إطفاء نورها وطمس معالمها فإنهم أمام حرص أبنائها غير قادرين على ذلك إن شاء الله . (29) ولا نخاف من العامية, ونتفاءل, فأن اللحن والخطأ, قديم منذ الجاهلية, وحادثة لحن النابغة الذبياني مشهورة . عندما اسمعوه غناء لشعره ففطن لذلك .

وفي زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) ورد في اثر الحديث الشريف (أرشدوا أخاكم فقد ظل)(30) . أو كما قال صلى الله عليه وسلم, وقال ذلك عندما لحن رجل في حضرته . والشواهد في زمن الشيخين أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما معروفة . (31) ومع الفتوح الإسلامية تفاقمت المشكلة وأصبح الزيغ اللساني ظاهرة خطيرة . وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه تصدى لهذا الأمر فأختار

الإمام علي عليه السلام لهذه المهمة في التصدي أبا الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) لعلمه ولفصاحته وبلاغته . (32) ونبه ابن قتيبة إلى الأخطاء في الاستعمال اللغوي في كتابة أدب الكاتب, أشار إلى المستلزمات المطلوبة في الكتابة . (33) وفي العصر العباسي شهد حملة كبرى تتصدى لما شاع على ألسنة العامة من اللحن وصدرت المؤلفات التي تهدف إلى تصفية اللغة ومقاومة اللحن واللهجات العامية . والجاحظ تصدى للذين يوجهون مطاعنهم على خطباء العرب (34) وتستمر الجهود إن شاء الله .

ومع ذلك فقد تجاوزت لغة الأدب الرفيعة, ولغة الحديث العامية طوال هذه القرون على اختلاف البيئات فلم تطغ إحداهما على الأخرى, ولم تنفر إحداهما مجاورة صاحبتها .(35) إنها اللغة السليمة الفصيحة, التي تبتعد عن اللغة المبتذلة العامية . وتظهر صورة الذي يتمتع بالأسلوب الأدبي ومكانته المرموقة فابن رشيق يمتدح احد الأدباء يقول :(أحق من جنى ثمر الألباب, واقتطف زهر الآداب, متنزها في عقول الحكماء, متفكها في أقاويل العلماء, بالغا بهمته أعلى المراتب, خاطبا لنفسه أسنى المطالب) .(36) وإشاعة مفهوم الرجل هو الأسلوب في أوساط الطلبة في الجامعة, وان العلوم البشرية خزانتها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها, ذلك الفكر المحصل, وذلك البيان إنما يكون بالعبارة, وهو الكلام المركب من الألفاظ النطقية التي خلقها الله في عضو اللسان ليتبين بها ضمائر المتكلمين بعضهم لبعض في مخاطباتهم ... هذا البيان يدل على ما في الضمائر من العلم والمعارف فهو أشرفها . (37)

مقارنة العربية باللاتينية :

إن التثقيف الذي تشتد حاجتنا إليه في أقسام اللغة العربية, هو فتح الملفات اللازمة للمعلومات المتعلقة بالحفاظ على الفصحى, ومن جملة ذلك موضوع مقارنة العربية باللاتينية . وهذه القضية كانت ولا زالت تثار من مدة إلى أخرى . ولعل أكثر ما يثيرها, ويسبب ردودا للأفعال في الغيرة على اللغة العربية, هم أولئك الذين يدعون إلى الخطاب في العامية لأنها ألصق بالجماهير ولغتهم, ومن ثم تؤدي إلى سرعة فهمهم, وتجاوبهم ولأن الأدب هو بالنتيجة للجماهير . ومن جملة المسوغات التي يذكرونها أن اللاتينية تحول عنها أهلها, ومن ثم فان العربية شبيهة بهذا الأمر .

ونعرف أن اللاتينية فعلا انقرضت بعد ظهور اللغات الفرنسية, والايطالية والاسبانية, وهي بمجموعها تعرف باللغات اللاتينية . وهذه اللغات فعلا هي لغات العلم والأدب . وأمثال هذه المسوغات, ربما تؤدي لأول وهلة إلى قناعات عند قسم من الناس, ولا سيما مع شعورهم بصعوبة العربية . لذلك فأن مهمة أقسام اللغة العربية في الجامعات التصدي لهذا المفهوم وانه ليس من المناسب أن نخضع هذا الأمر إلى مقارنة متعسفة قسرية بين اللغة اللاتينية واللغة العربية .

اللغة الفصحى والمستوى المطلوب ومسؤولية قسم اللغة العربية :

لم يقل أحد من علماء اللغة إن الفصحى تعني البحث عن مفردات صعبة تحتاج إلى الاستعانة بالمعجمات لمعرفة معناها . وإنما اعتماد قواعد اللغة العربية الأساس, دون التعقيد في الخلافات اللغوية, وأن ينطلق اللسان بلغة سليمة سهلة ميسورة . وان قواعد اللغة العربية . بوضعها الحالي لاتشكل صعوبة بالغة, وتبعد عن العامية الدارجة بعدا واضحا والفصحى المطلوبة هي التي يسميها المرحوم ساطع الحصري . الفصحى المتوسطة المعتدلة .(38) ويحسن بنا أن نلجأ إلى الفصحى السليمة في أقسام اللغة العربية إن أوجدناها فعلا . كمرحلة أولى . وهذا يتطلب إجراء البحوث والدراسات العلمية والميدانية المكثفة, ولا نسرف بالمبالغة إذا قلنا تتطلب ألاف البحوث والدراسات, يسهم فيها طلبة الجامعة أنفسهم في أقسام اللغة العربية, ولا سيما الدراسات المقارنة بين الفصحى والعامية المتداولة في مناطق تواجدهم, والتمييز بين الفصحى والعامية تمييزا معقولا دون أن نضطر إلى القول بلغة متوسطة تجمع بين العامية والفصحى . بل تبقى كل منهما بخط متواز مع الأخر و((اللسان اليعربي هو تلك اللغة اللينة على اللسان, اللطيفة اللفظ, اللذيذة الولوج إلى الأذن .)) (39) وهذا العمل يستطيعه النحويون و الصرفيون (40) .

واللغة الفصحى هي المعتمدة في المدارس والمراحل الدراسية جميعها, وغني عن البيان أن الملايين من التلاميذ والطلبة يتلقون تعليمهم بالفصحى, وهي لا تزال متجددة, وإنها ستزداد تألقا ونموا مع قابل الأيام طالما تحظى بمثل هذه المؤتمرات في أصعب الظروف التي يمر بها العالم العربي . وظل الاتصال باللغة العربية الفصحى اتصالا وثيقا . وإذا كان الناس لا يتكلمون الفصحى لكنهم يفهمونها تماما بما في ذلك الأطفال . وصمود الفصحى ظل إلى اليوم مع ضعف المكافحة للغة العامية, ورتابة الخطوات لنشر الفصحى . فالمطلوب تقويم اللسان ما أمكن بالاهتمام اللغوي ((نطقا تستسيغه الأذن وكتابة برسم صحيح . والإقبال الجاد على تعلم أساسيات النحو, فمكتبتنا زاخرة بالعديد من أمثال هذه الكتب المبسطة)) (41) والناس الذين عمرت قلوبهم التقوى عليهم أن يساندوا تيار الفصحى و يعززوه . أنهم يسهمون في توعية الناس للقراءة الصحيحة وليدفعهم لقراءة الكتاب المنزل .

ورحم الله أمين الخولي الذي أقام الصلة بالتراث على شرطين سماها (التخلية)و(التحلية) وقد عنى بالتخلية أن ننقي تراثنا من كل ما يرفضه العلم أو لا يتلائم ومنطقه الجديد . وقصد بالتحلية أن نضم سمين التراث ما هو جيد ونافع من منجزات العلم الحديث ومبتكراته .(42) لذلك فان استمرار النقاش بين علماء اللغة والمفكرين, يعد دليل معافاة لأنه يهدف إلى الحفاظ على اللغة العربية الفصحى . يرافق ذلك الحلم الذي يراود أذهان المخلصين أن نجد اللغة التي يتحدث بها الجميع في بلاد العرب, تحافظ على أصالة اللغة ورصانتها, ولعل أقسام اللغة العربية تسعى حثيثا لنشر هذه اللغة الفصحى وترسيخ سمات هذه اللغة غير المعقدة البعيدة عن العامية, ونعدم التفكير الذي يدعو لإيجاد لغات إقليمية في كل قطر من أقطار العرب,

وان نقّوم اللسان ما أمكن ولا نستحي من القليل فالحرمان أقل منه . لأن العناية بهذا الأمر موصول بالعناية والاهتمام بالكتاب المنزل وبالقومية العربية, واللسان العربي خير موحد للعرب, والوحدة تراثهم وثقافتهم وشعورهم .

إن أسباب مباينة الأسلوب العربي ليس عسيرة, فبشيء من المتابعة والتقصي يمكن تجاوز ذلك, وتعديل المسار, ولا سيما وجود الكتب الميسّرة لهذه المهمة . وبشيء من البذل والتعاون نستطيع أن نصل إلى الفكرة الواضحة والمعاني الظاهرة ومطابقة المعنى والمبنى ((وعلى أدباء العرب أن يدركوا حق الإدراك حاجة الأمة إلى لغة (موحّده وموحـ□ـده) فيتمسكوا بأهداب اللغة الفصحى مع تجنب التقعر والجمود فيها, وعليهم أن يواصلوا العمل في سبيل تبسيطها)) .(44) دون المساس بأي من القواعد العربية, والمقصود تجاه تحبيبها إلى نفوس الطلبة والناشئة .

وان التصدي الذي نتوجه إليه بما في ذلك التعابير التي تتكرر في وسائل الإعلام مثل خلط الأوراق, والورقة الرابحة, والورقة الخاسرة . والكرة في ملعب الحزب الفلاني, الرجوع إلى المربع الأول . فاللغة العربية أوسع واشمل من الاقتصاد على مثل هذه الأساليب .

والخوف من إعراض أصحاب اللغة العربية عنها, هو وهم اخترعه هؤلاء المغرضون . وينقض هذا الوهم أو هذا الزعم أن العربية قد استطاعت أن تحيا خلال بيئات متفاوتة وعصور متطاولة ودرجات من الحضارة والمدنية أدناها البداوة وأعلاها ما وصلت إليه في بغداد والأندلس, استطاعت– وهي اللغة البدوية – أن تكفي حاجات ما جدّ من علوم ودراسات, ونقرأ القرآن بعد أكثر من أربعة عشر قرنا من نزوله فكأنه أنزل اليوم . (45) ((ومنذ نزوله والدراسات حوله تنمو وتتشعب, والعلوم التي قامت عليه تزيد وتتسع, تهدف من ذلك الحفاظ عليها من اللحن والخطأ))(46)

وما نريد قوله أن يكون الهدف هو الارتقاء بالفصحى واستعمالها لأنها هي محل اعتزازنا, حتى إذا لم يكن لها أعداء أو تواجهها محاولات مغرضة مثل التفرقة بين العرب والمسلمين ومحاربة الدين الإسلامي, الأمل أن يفتخر بها الطلبة, وان الطالب الذي يقبل في قسم اللغة العربية يشار إليه بالبنان وأنه من المحظوظين ويطلب من الدول العربية أن تفتح ملحقياتها الثقافية في مختلف البلدان مراكز لتدريس اللغة العربية . وفتح المدارس يكون التدريس فيها باللغة العربية وفق منهج علمي رصين وحديث . تستقبل الطلبة الراغبين من الجنسيات المختلفة ترويجا للعربية ونشرها .

وإذ كان الأدب على ذلك, فباضطرار أن تتهذب فيه الحياة وتتأدب, وان يكون تسلطه على بواعث النفس, دربة لإصلاحها, وإقامتها لا لإفسادها ... ثم تصحيح الفكرة الإنسانية في الوجود .(47)

قواعد اللغة العربية :

اللغة, شيء . وقواعد اللغة العربية, شيء أخر . فاللغة تتأثر بالحياة وتطورها, أما قواعد اللغة فهي نتيجة البحث والدراسة . وخصائص اللغة تدخل في نطاق الأمور الطبيعية, ولا يمكن أن تقاس بمقاييس العقل النظري, والمنطق المجرد . في حين أن (قواعد اللغة) لا تخرج عن نطاق الأمور الاجتهادية التي يجب أن تكون خاضعة لحكم العقل والمنطق على الدوام .

وتأسيسا على ذلك يرى ساطع الحصري إمكانية إصلاح قواعد اللغة, وفقا للبحث العلمي, ولا سيما إمكانية تعميم هذه الإصلاحات على مستوى الأقطار العربية . فان كتب القواعد التي ألفت في مصر من قبل اساتذه كبار اعتمدها العراق لتدريس هذه الكتب في مدارسه, لما يتمتع به هؤلاء الأعلام من شهرة واسعة . وان تغيير المناهج باستمرار دليل معافاة, وضرورة تتطلبها مستلزمات المناهج . وأن تأتي هذه الكتب مهتمة بالمعنى, مثلما تهتم بالأعراب .

فهي دعوة لإعادة النظر في كتب الصرف والنحو في المراحل الدراسية تنبثق من هذا المؤتمر, وفي مقدمة من يتحمل الأعباء أقسام اللغة العربية . وللتوجه في دراسة حديثة تجانب اعتقاد الكثيرين بان ((قواعد اللغة العربية على جانب كبير من الصعوبة والتعقيد .. ويرجع سبب هذا إلى أن هذه القواعد يتم دراستها بصورة مجزأة دون الربط الكافي بين تقسيماتها)) (48)

فلا نعدم الجهود الرامية إلى الاختصار والتبسيط والتشذيب, لتكسب اللغة شيئا من السهولة من غير أن يفقدها ميزتها التوحيدية ويوصلنا إلى فصحى معتدلة, مع الاهتمام بالأعراب وفي الوقت نفسه لا يكون هو الغاية والهدف, فصحة التراكيب في البدء, ثم دراسة ما ينشأ عن هذه التراكيب من علامات يمكن أن تسهل دراسة النحو, وربطها بسائر علوم العربية, وتناول الألفاظ المفردة, ومن ثم علم البلاغة والأسلوب . والعربية تمتلك أساليب متنوعة يستطيع كل إنسان أن يعبر بها, وقادرة اليوم أن تستوعب الحضارة الجديدة .

يقول الدكتور مهدي المخزومي من العراق : (وبرم الطلبة في مراحل الدراسة المختلفة بالدرس النحوي . واستثقالهم ظله, وظل القائمين على تدريسه, وفشل الطلبة حتى المتخرجين منهم أن يفهموا نصا أدبيا أو لغويا, وفي أن يؤلفوا جملة عربية سليمة, وما ذلك فيما أرى, إلا لأن القائمين على تدريسه سلفيون مشدودون إلى القديم)(49) .

إن هذه الدراسة بعثت في نفسي شعورا غير متهاود للتحدث بالفصحى ودراسة القواعد واشعر بالذنب لتقصيري تجاه هذه اللغة العظيمة الرائعة فالله أسأل حب هذه اللغة وإتقانها ما بقي لي من عمر .

الإعلام :

إن لغة الإعلام تستهدف الوصول إلى كل الناس ((بمستوياتهم الثقافية المتباينة دون إخلال بالقواعد والأصول اللغوية, وهي أيضا لغة متحركة سريعة الالتقاط تفرض عليها طبيعة عملها, تعاملا مع ألفاظ ومصطلحات تشيع عالميا . بغض النظر عن لغتها الأم, من هنا تكون حاجة العاملين في الحقل الإعلامي إلى جهود رجال اللغة لتبسيط وتوضيح التراكيب اللغوية وتبيان الصيغة السليمة لها .. بهدف الوصول إلى الاستعمال الأمثل إعلاميا))(50) .

إن أقسام اللغة العربية تسهم في إقامة الدورات التدريبية والتنسيق بين إعلام الجامعات وإعلام القنوات الفضائية ولا سيما الحكومية منها . لتحقيق هدف صحة الخبر, إلى جنب حسن الصياغة, وسلامته اللغوية, المؤدية للمعنى في كلمات مناسبة .

وتعد الوسائل الإعلامية أعّم نفعا من غيرها, لأنها تكفل لنا تكرار النطق الانموذج, على آذان الناس في كل وقت وفي كل زمان, لا تقتصر على البيئة المدرسية, بل يتأثر بها الخاص والعام أينما كانوا, وتلك هي الإذاعة وأفلام السينما والروايات المسرحية . فإذا أنشأنا المذيعين والممثلين تنشئة خاصة .. استطعنا بهذا أن نقطع شوطا بعيدا فيما نهدف إليه من تقريب النطق بين أبناء الدول العربية الشقيقة .(51)

عالمية اللغة العربية :

إن هذا التوجه له ما بعده من المقاصد الكريمة والمشاعر النبيلة . على أن يحافظ هذا التوجه على اللغة القومية . لأنه من التوجهات التطبيقية العالمية الثقافية, هو إعدام اللغة القومية, والذوبان باللغات الأجنبية الشائعة كالانكليزية والفرنسية .

ومن مهام أقسام العربية تقوية الثقة بلغتنا, وأن يعدها الطلبة إحدى اللغات العالمية فعلا, ويتشرفو بها, وتنمية هذا الشعور باستمرار تجاه اللغة, وترويج هذا المفهوم عند الأساتذة والطلبة على حد سواء .

وتأسيسا على ما تقدم, نريد القول أن تكون اللغة هي القاسم المشترك وإحدى سبل توطيد العلاقات, والتصدي لمفهوم إقليمية الأدب العربي, مثل هذه الدعوات فعلا, مفادها أن الأدب العربي يختلف من إقليم إلى إقليم, وهذا الذي يجب أن يكون ويكرس, لأنه يمثل خصائص الإقليم .

وإذا توطدت العلاقات بين أقسام اللغة العربية, فان الدعوة تتجه في حالة تميّز أي قطر في آدابه, بأن ذلك يعد مفخرة للأقطار العربية عموما . وأن يتجرد الأدباء فيه عن مفهوم الإقليمية أو الأنانية, ويتمنو التقدم للأقطار الأخرى .

((إن هذه النظرة كانت وثيقة الاتصال بالإرادة السياسية التي كانت تسود محافل المفكرين في مصر, في عهد إنشاء الجامعة المصرية . إذ أن في ذلك العهد كانت مصر منطوية على نفسها, شبه منعزلة عن سائر الأقطار العربية, من الوجهتين المادية والمعنوية . إنها كانت ضئيلة الاتصال بها, فلا تعرف شيئا يذكر عن أحوالها, ولا تتشوف إلى معرفة ما جرى, وما يجري فيها . وكان جماعة من المفكرين والكتاب يرجعون بأبصارهم وأذهانهم إلى عهود الفرعونية, وجماعة منهم يتوجهون بقلوبهم وعقولهم نحو (مقر الخلافة الإسلامية) وجماعة ثالثة تعترض على هؤلاء وأولئك, وتدعو إلى (قومية مصرية) لا فرعونية ولا عثمانية .

وأما فكرة (عروبة مصر) فما كانت تجد مجالا للتسرب إلى الأذهان, بين هذه التيارات المختلفة –خلال الانعزال المادي والمعنوي)) (52) إلا أن الوضع الجديد يبشر بالخير في مصر و الأمنية أن تكون مصر قبلة العرب إن شاء الله في تحقيق أمنيات هذا المؤتمر في الحفاظ على العربية الفصحى ووحدة العرب .

ومن مهام أقسام اللغة العربية, أن تجد بوادر نظرية تدعو إلى آداب عربية لأمة واحدة, ولها صفة واحدة, والاعتقاد بإمكانية توحد الأمة العربية . وان اختلاف المذاهب والأجناس والبيئات لا يستوجب تعدد الأقطار العربية وآدابها, لأن هذا الاختلاف نجده في آداب الأمم جميعا . ولأن الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه هو التوحد, فلا نجد مسوغا لذكر أسماء الأساتذة الذين دعوا إلى هذه الدعوات ولا نريد التورط في مزالق فكرية, بل إن من مهمة أقسام العربية تحجيم هذه المزالق حتى لا تؤدي بنا إلى شيء من الأخطاء . ومحافظة الأدب على صفته العربية الموحدة . ونأمل أن لا يأتي اليوم الذي نسمع فيه ونشاهد, الأدب المصري والأدب العراقي والأدب الجزائري . وهناك من يحاول الإجهاض على العربية من هذه المداخل, ولكن إذا تضافر الأديب المصري والأديب العراقي والأديب اللبناني يجمعون على رقي الأدب العربي .

لما حصل الأديب المصري نجيب محفوظ على جائزة عالمية كبرى فرح العرب جميعا . وان شهرة كثير من الشعراء والأدباء والكتاب في الأقطار تدل على وحدة الأدب العربي . ومرة أخرى فان المعارضات الشعرية بين الشعراء في الشرق والغرب تدل على التفاعل الممكن, وفي الوقت الذي تجد فيه تشابها في نتاج الأدب في الأقطار المختلفة, ربما نجد تباينا بين أدباء القطر الواحد ; ((إن رواج العربية يمكن تتبعه في مختلف العصور)) (53) ولم يكن بدّ للشعراء المحدثين أن ينظروا في معاني الأولين وينعموا النظر, ويأخذوا منها شيئا يصبغونه بالإجادة والتحسين فيستوي لهم من ذلك فن رائع . (54) إني على وعي تام بأن هذا التنظير من السهولة, ولكنه يحتاج بشدة إلى مساندة الحكومة ومن مهمتها نشر الآثار الأدبية التي تخدم القومية العربية . تعزيزا لهذا التوجه . ويؤمن الأدباء العرب ((بوحدة الأمة العربية, ويتمسكون بالقومية العربية, فلا يستسلمون لنوازع (الإقليمية) التي تنافي مبدأ(الوحدة العربية) ولا يندفعون نحو(فكرة العالمية) التي تخدر العواطف القومية)) (55) وأن نضع في الاعتبار ما هو واقعنا ؟ وما هي طموحات الناس, وتجنب المغالاة, خوفا من الانزلاق في متاهات . ولنحقق الأتي :

1- أن تكون اللغة في خدمة الأمة وتكون على حذر من الاستعمار الذي يعمل على بقاء التفرقة .
2- تكشف اللغة عن المعوقات التي تقف في طريقها, وإزالة المعوقات التي تحول دون أداء رسالتها الإنسانية .
3- الانفتاح على غيرها من اللغات .
4- إن تعبر اللغة عن ذاتيتها والاعتراف بحق غيرها من لغات قومية .
5- توحيد الأفكار والاتجاهات والأهداف .
6- توجيه الناشئة نحو الإخلاص في العمل والتضحية وتقوية روح الانتماء للعروبة .
7- تسمية النماذج المثالية في المجد والبطولة وتكون نصب أعين الطلبة .
8- اختيار النماذج اللغوية لهز المشاعر والوجدان, وأن نحب لغتنا الجميلة,لتكون جديرة بتحقيق ما تقدم والتوجه نحو العالمية ويتوجه الفرد والمجتمع والحكومة لخدمة الإنسانية . (56)

وبعد أن تتكامل للغة مظاهر الأصالة والتطور و الارتقاء, وبعد أن تتهذب ألفاظها وأساليبها, وبعد أن تمتلك من السعة والبلاغة والتصوير وتتهيأ لها القدرة على تكييف المعاني تكيفا صادقا وصياغة الأفكار وتصوير المشاعر والأحاسيس بأسلوب مؤثر, ويأخذ بالمشاعر والأسباب, تحدد أهمية الثقافة :

1- تساعد على حفظ التراث الثقافي والحضاري ونقله من جيل إلى جيل .
2- أداة يستعملها المجتمع في تكوين وحدة ثقافية بين أفراده وفئاته وطبقاته, لتعمل على توحيد مشاعرهم وأهدافهم وغاياتهم داخل الوطن وخارجه, كما تعتمد عليها الحكومات في تحقيق أهدافها
3- التعبير عن النفس, والتفاهم والوقوف على أفكار الغير والاستفادة من تجاربهم .
4- وسيلة للتذوق, وأداة للتفكير, وتعكس جمال الطبيعة . (57)

وتحقق ذلك ميسور, وتستطيع اللغة أن تستوعب كل الألفاظ والمصطلحات الدخيلة لأن اللغة العربية تلقت القرآن الكريم , ((هذا الأثر العظيم وفيها من الحصانة وعندها من الاستعداد, ما يدافع عنها خطورة الانتقال من جحر ضبّ إلى ملك واسع الرقعة مترامي الأطراف, فلم يعجزها أن ترى مالم تكن رأت, فقامت به, واتّسعت له, مستعينة على ذلك بالنحت طورا, والتجوّز تارة, والتعريب أخرى, فانتصرت على ما كان خليقا أن يعييها ويوقفها منه موقف الذليل الضعيف))(58)

وبانتشار الإسلام والقران انتشرت اللغة العربية, ولم يقف الأمر عند الفرس في الشرق, بل تجاوزهم إلى أهل الهند, فكثير من علماء الهند الذين اسلموا قد شاركوا في هذه العلوم, وشاركوا فيها باللغة العربية.

ولم يقتصر الأمر على الشرق فقد استعربت مصر, واستعرب شمال افريقية, وما زالت هذه البلاد مستعربة أو عربية واستعربت اسبانيا, فأثار اللغة العربية الأندلسية ما زالت باقية لا يمكن أن تمحى ولا أن تنسى إلا إذا محيت ونسيت حضارة الغرب . واختفت اللغة التركية بعد ضياع نفوذ الأتراك, وقد كانوا حاولوا تسويد لغتهم وجعلها لغة رسمية .

ولم تكن سيادة اللغة وانتصارها هذا الانتصار الرائع, من طريق الإرغام, وإنما انساق الناس إليها بدافع الدين, أو الدنيا, أو هما معا . (59)

تلك إذن مدخلات اللغة التي تمكنها من الخروج إلى العالمية .

الخاتمة

إن ما يهدف إليه البحث هو ترصين الأداء في اللغة العربية الفصحى, لأنها من الدعائم الأساس لوحدة العرب . وهذا الأمر يتطلب جهدا مخلصا لمزيد من الرعاية والعناية للغتنا الجميلة . لنبعث في الجسد العربي الموحد, روح الخلود, ويكفي العربية فخرا, أنها لغة الكتاب المنزّل من الله .

والأمل من أقسام اللغة العربية, أن تكثف الاتصالات لتقوم بدورها التاريخي, بتحريك الحكومات, أن تنتهج سياسة تعليمية شاملة للمراحل الدراسية وبتشريع التعليمات والمتابعة والتنفيذ والتقويم . وتعيد إلى اللغة

الفصحى اعتبارها ورونقها, لأنها اللغة القومية الرابطة بين العرب, بطريقة ملائمة ميّسرة, واستعمالها على الدوام .

وهذا لن يكون بمعزل عن مد الجسور بين المؤسسات التعليمية والمراحل الدراسية ولتأخذ دورها التاريخي المطلوب بداية من إعداد المعلمين والمدرسين على مستوى متميز زيادة على إعداد المناهج والمستلزمات التربوية والتعليمية المطلوبة . لأن هذه الأقسام لم تكن تعنى بشيء من ذلك, عناية تدفعها إلى الإسهام بنصيب وافر . ولكن لا نعدم مشاعر مرهفة واستعدادات صادقة, ورعاية الطفولة في الرياض والتلاميذ في المرحلة الابتدائية والطلبة في المدارس الثانوية, للحديث في الفصحى, وتطوير المناهج, ورفع المستوى الثقافي دعما للفصحى لتنتشر على ألسن الطلبة و الأساتذه والمجتمع .

وفي عصر العولمة والانفجار المعرفي والعلمي, لابد للعرب من مواكبة ذلك, وتوثيق الصلة بينهم وبين الشعوب, وهنا سيؤدي إلى دخيل من الألفاظ والمصطلحات, لابد من التصدي لها بطرق علمية مدروسة والتقصي الشامل لمفردات العامية, ونخلص إلى الفصحى السليمة . وتطبيق القواعد العربية بشكل ميّسر تحفظنا من اللحن بما يؤدي إلى فهم المعنى مع الاهتمام بالصرف والبلاغة والأسلوب والإملاء والكتابة لترقى اللغة العربية الفصحى الى ما يتمناه المخلصون لها, ويساهم الإعلام في ذلك .

ولا نغالي إذا قلنا إن في هذا الأمر تعبدا, ولنا فيه رفعة إذا أخلصنا النية لله . ولا زالت العربية أعظم استعدادا لترقى الى العالمية .